# القومية العربية والأدب

# كبار الأدباء يتحدثون

طه حسين    محمود المسعدي    محمود تيمور    نجيب محفوظ




منشورات الطليعة 2001

# الأدباء..

## هم بناة القومية العربية

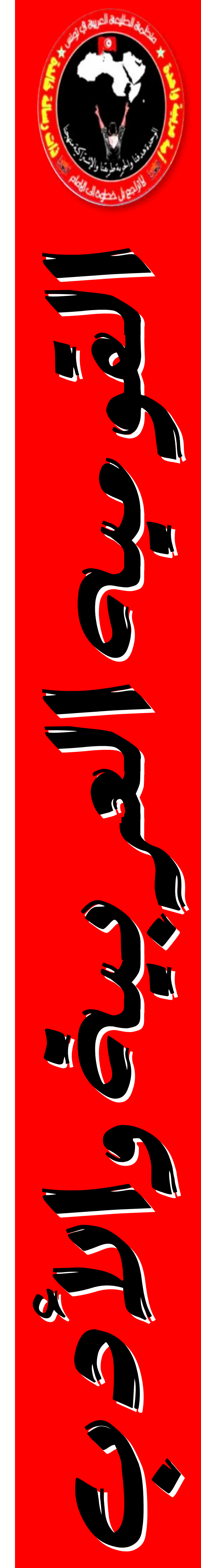
بقلم الدكتور طه حسين

سمعت الان من السيد الاستاذ الذي يدير هذه الجلسة (*) سمعت ان الشعر اداة للقومية العربية . واني استأذن الاستاذ في ان الاحظ ان الشعر ليس اداة لشيء ،وأن الشعر هو منشىء القومية العربية اولا ... وهو الذي شارك في تكوينها وتقويتها بعد ان كونها القرآن ، وأن الادب هو الذي اتاح لهذه القوميةالعربية ان تنمو وتزكو وتملأ الارض علما وثقافة ونورا . فواجب الادب بالقياس للقومية العربية هو ان يكون ، لا أداة لهذه القومية ، وانما وفيا لهذه القومية ، يؤدي ما كان يؤديه في العصور الاولى وما زال يؤديه في هذا العصر ...

وموضوع الحديث الذي اريد ان اشرف بالقائه الان بين ايديكم هو هذا : هو تأثير الادب في تقوية القومية العربية وتنميتها بعد ان كونها الاسلام وتأثير الادب في محاولة تكوينها قبل ظهور الاسلام .. والواقع ـ سيداتي وسادتي ـ ان الامة العربية من شمالها الى جنوبها ومن شرقها الى غربها ، كانت في العصر الجاهلي مختلفة اشد الاختلاف : قوام حياتها الخصام والعدوان والغارات والنهب والسلب ، ولم يكن يجمعها في هذا العصر الجاهلي الا لغتها على اختلاف شديد في لهجات هذه اللغة ، وانما الذي استطاع ان يؤلف شيئا ما بين هذه القبائل المتفرقة هو الشعر الذي لم يكد ينشأ حتى فرض لهجة بعينها على الامة العربية كلها في جميع اطرافها واقطارها من الجزيرة العربية ، فكان الشاعر العربي اذا انشأ قصيدة وانشدها في مجموعة من الجاميع ، فهمها عنه الناس مهما تكن قبائلهم ، ومهما تكن لهجاتهم او لغاتهم الخاصة .. ثم لم يكتفوا بفهمها وانما كان الرواد يتناقلونها عن الشعراء،وكانت القصيدة لا تكاد تنشد حتى تشيع في الجزيرة العربية ويحفظها كثير من الرواد في الاقطار المختلفة من اقطار الجزيرة . فأول توحيد للعقل العربي انما جاء من هذه الناحية .. من هذا اللسان الذي اتاح للغة العربية في العصر الجاهلي ان تكون لغة اجتماعية ، وان تكون لغة تستطيع القبائل ـ على تباعدها واختلافها وخصومتها ـ ان يفهم بعضها البعض ، وأن يشعر بعضها بما يشعر به البعض الآخر .. فالكون الاول في المحاولة لايجاد وحدة لهذه القبائل العربية ، انما هو الادب والشعر من الادب بنوع خاص ، لانه هو الذي سبق الى الوجود ولم يوجد اخوه النثر الا بعد عصور تطاولت قليلا ..

والقومية العربية ، اذا اردنا ان نعرف متى تكونت بالمعنى الدقيق لكلمة القومية ، فينبغي ان نردها الى ظهور الاسلام ـ فالكون الحقيقي للوحدة العربية بجميع انواعها وفروعها: الوحدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية واللغوية ايضا، انما هو النبي صلى عليه وسلم ... هو الذي جاء بالقرآن ودعا الى الحق واجتمع حوله الاقاون من اصحابه .وجعل الاقلون يكثرون شيئا فشيئا حتى كانت الهجرة وحتى أسست اول مدينة اسلامية او بعبارة أدق ، اول مدينة عربية منظمة عرفها التاريخ . ولا أذكر اليمن القديمة لاني لا اكاد اعرف من حضارتها ونظمها شيئا ،وانما المدينة الاولى التي عرفها التاريخ والتي تكونت فيهاالنواة الاسلامية للقومية العربية هي مدينة ( يثرب ) بعد انهاجر النبي اليها مع اصحابه من « قريش » . ومن هذه الوحدة الضئيلة الصغيرة في هذه المدينة التي لم تكن خالصةلاهلها من العرب وانما كان اليهود يشاركونهم فيها .. من هذه الوحدة الضئيلة اليسيرة التي كان من ايسر الاشياء ان يتخطفها العرب من حولها ، لولا ان الله أيد رسوله وأيد المدينة برسوله .. من هذه الوحدة ، جعل الاتحاد العربي ينمو قليلا ، باللين حينا ، وبالعنف وبالشدة حينا آخر .. ولم ينتقل النبي الى جوار ربه الا وقد تمت وحدة الجزيرة العربية ، ووجدت قومية عربية منظمة لها قانونها وهو القرآن ، ولها نظامها السياسي الذي يقوم على ما دعا اليه القرآن من العدل والانصاف والمساواة بين الناس ولها حكامها المنظومون والمنظمون ايضا ، الذين لا يستأثرون على احد ، ولا يؤثرون انفسهم بخير ، وانما هم خدم للامة العربية ، ينشرون بينها العدل ويعلمونها شرائع الدين ، ويهيئونها لاداء واجبها الانساني العظيم . وبعد ان أتم النبي توحيد الامة العربية ونهض خلفاؤه من بعده ، جعلت هذه القومية العربية تتجاوز الجزيرة العربية الى الاقطار الاخرى، وأول هذه الاقطار التي انتشرت او التي تجاوزت العروبة جزيرتها اليها ، ينبغي ان نلاحظ انها كانت اقطارا قد

(*) هو الاستاذ محمد محمد علي عضو وفد السودان الى مؤتمر الادباء الثالث ( الاداب )





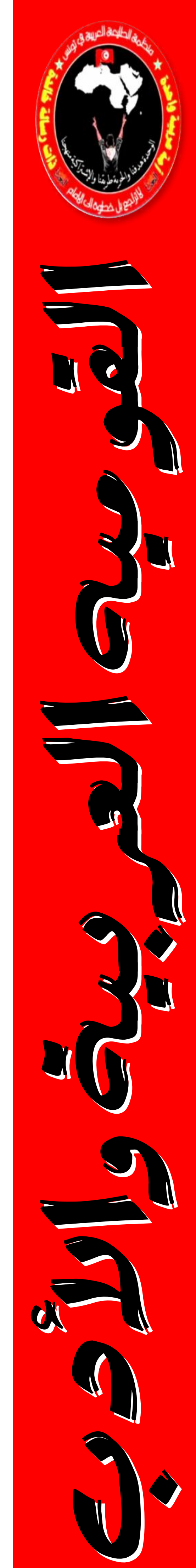

استعربت شيئا ما في العصر الجاهلي . فأول ما خرج العرب من جزيرتهم غزاة فاتحين يريدون ان ينشروا الاسلام ويدعوا الى دين الله ، ذهبوا الى العراق والى الشام ... وكان الشام قد استعرب قبل الاسلام ، لا على الحدود بينه وبين الجزيرة العربية فحسب حيث كان الغسانيون يقيمون، بل الى داخل البلاد الشامية ، وكانت بعض القبائل العربية قد انتشرت في الشام قبل الاسلام ، وتأثرت بالحياة التي كان الناس يحيونها في هذا القطر ، وهي حياة الروم وتدينت بالدين الذي كان الروم يدينون به وهو النصرانية. والعراق كان قد سبق اليه العرب في الجاهلية وتأثروا الى حد ما بالمسيحية التي جاءتهم من الجزيرة ، وتأثروا الى حد ما بسياسة الفرس ولم يستطيعوا ان يستقلوا بازاء الفرس كما لم يستطع الغسانيون في الشام ان يستقلوا بازاء كثرة الروم .

فكان العرب في العراق ، وكان العرب في الشام حماة لحدود الامبراطورية الرومانية في الشام وحماة لحدود الامبراطورية الفارسية في العراق ..

ولم يكن الفتح الاسلامي في اول امره الا يسيرا عندما التقى بهذه العناصر المستعربة في الشام وفي العراق ،ولكن عندما اهتم الفرس من جهة واهتم الروم من جهة اخرى بهذا السيل الذي جعل يتدفق على الشام وعلى العراق ، اصبحت القومية العربية امام واجب خطير وهو ان تقف موقف الخصومة والنزاع من هاتين الدولتين العظيمتين الامبراطورية البيزنطية في الشام والامبراطورية الفارسية في العراق..

هنا انتصرت الومية العربية في هذين القطرين في الشام وفي العراق ، ولكنها لم تقف عند هذا الحد وانما تجاوزته الى بلاد لم يكن لها بالعروبة عهد من قبل .. تجاوزتها الى مصر في المغرب والى الفرس والبلاد الفارسية في المشرق وانتصرت على الروم في مصر كما انتصرت على الفرس في بلادهم ، وأدالت دولتهم ، ثم انتصرت على الروم بعد ذلك في شمال افريقية ، واستقرت العروبة في شمال افريقية بعد خطوب شداد ، ثم تجاوزت افريقية الى القارة الثالثة التي لم يكن العرب يعرفونها قبل الاسلام وهي القارة الاوروبية ، ففتحت الاندلس واستقر العرب في اسبانيا كما استقروا في افريقية وكما استقروا في شرق الدولة الاسلامية في بلاد الفرس ووصلوا الى اطراف المعمورة.. منذ ذلك اليوم تعقدت القومية العربية .. لم تصبح امة تعيش في وطنها الذي نشأت فيه خالصا لها هذا الوطن، وخالصة هي لهذا الوطن وانما اصبحت امة تجاوزت وطنها وبيئتها ونزلت الى اوطان وبيئات لم تكن تعرفها هي ، ولم تكن هذه الاوطان والبيئات تعرف عنها الا الشيء القليل .. وأغرب ما تمتاز به هذه القومية العربية ، هو انها عندما استقرت في هذه البلاد التي افتتحتها وحاولت أن تستقر فيها ، عندما اتيح لها هذا النوع من الاستقرار ، لم تكتف به، ولم تكتف بأن تستقر في الشام حكومة متسلطة او في بلاد الفرس كذلك ــ لم تكتف بامتلاك الارض ، ولم تكتف باخضاع الناس للسلطان لانها لم تكن تريد ان تملك الارض ولم تكن تريد ان تخضع الناس بسيطرة سياسية فحسب ، وانما كانت غايتها قبل كل شيء ــ ان تملك القلوب وان تسيطر على الضمائر وان تدخل في اعماق الوجدان في البلاد التي تفتحها وتستقر فيها ، وبشرط ان يكون هذا كله دون اكراه او عنف . واذن ينبغي ان يأتي هذا بطبعه من نفسه من غير محاولة عنيفة ، بل من غير محاولة في اكثر الاحيان .. فبعد ان غلب المسلمون ضمن العرب على هذه البلاد ، لم يفرضوا على بلد من هذه البلاد لغتهم ، ولم يفرضوا عليها دينهم ، لانهم اكتفوا منها بالاصول التي قررها الاسلام وهي الاسلام لمن اراد ان يسلم عن رضى او اداء الجزية .

والغريب أن هؤلاء العرب الذين كانوا يطمحون الى حكم الاسلام ويطمحون الى أن يصلوا الى اعماق القلوب والضمائر والوجدان دون اكراه ودونا ي محاولة للاكراه .. الغريب انهم ظفروا بكل ما كانوا يريدون في ايسر اليسر واسهل السهل ، فلسنا نعرف أن احدا اكره احدا على ان يسلم بعد الفتح وانما الذي نعرفه هو ان كثيرا من المعربين مثلا كانوا يريدون ان يسلموا وكان بعض الولاة من ولاة بني امية يكرهون منهم ذلك ، مخافة ان تنقص الجزية ومخافة ان ينقص ما كان يجب أن يرسلوه من دمشق الى الخراج . وكان كثير من المصريين يحاولون الاسلام وكان امراؤهم



وولاتهم يأبون عليهم الاسلام ..

ومن اجل هذا كتب عمر بن عبد العزيز الى بعض ولاته يقول « انما ارسلتم مبشرين لا جباة » .

اذن فقد اسرع الاسلام الى القلوب والعقول والضمائر والوجدان، ثم لم يسرع الاسلام وحده، فالاسلام انما هو مشتق قبل كل شيء من القرآن، ومن حديث النبي. القرآن عربي وحديث النبي عربي والذين يسلمون ويستطيعون ان يتعلموا الاسلام دون أن يعرفوا العربية لم يكونوا يكتفون بأن يعرفوا قواعد الاسلام وأصوله وانما هم في حاجة الى ان يؤدوا هذا الفرض الاساسي من فرائض الاسلام وهو الصلاة، وهم في حاجة الى ان يعرفوا اصل هذا الاسلام وهو القرآن، فما اسرع ما انتشرت اللغة العربية بينهم .. وأغرب من هذا كله، أن قرنا وبعض قرن مضى بعد الفتح، واذا هذه البلاد التي فتحت والتي بقي فيها اهلها، اسلم من اسلم منهم، وبقي على دينه من بقي منهم على دينه ـ اذا هذه البلاد قد اخذت تتعلم العربية وتتقنها سواء منها المسلم او غير المسلم، وربما كان غير المسلمين اشد حرصا على تعلم اللغة واتقانها .

وفي نصف القرن الاول ـ اي قبل ان يمضي نصف قرن على فتح الفرس مثلا ـ كان بعض الفرس قد اتقنوا العربية وبرعوا فيها، واخذوا يناقشون العرب في الشعر العربي نفسه ووجد في ايام بني امية شعراء يقولون الشعر، كأفصح ما يكون الشعر في اللغة العربية وأصولهم فارسية لم يعرفوا اللغة العربية الا بعد ان اسلموا وبعد ان قاموا مجاورين للعرب في بلادهم او في جزيرة العرب نفسها .

ولم يكد القرن الثاني ينتهي حتى ننظر الى القومية العربية فنرى عجبا من العجب. نرى مهد القومية العربية قد هجر او كاد يهجر، ونرى الجزيرة العربية قد عادت اوصالها الى بدواتها القديمة، وظلت المدينة ومكة محتفظتين بما كان يدرس فيهما من الدين والعلم، ولكن البيئات القديمة البدوية في نجد عادت الى بداوتها وعادت الى شيء كثير من عزلتها القديمة وكادت الصلة تقطع بينها وبين البلاد الاخرى، واذا القومية العربية ليست في الجزيرة وحدها، وانما هي قبل كل شيء ـ في هذه البلاد التي فتحت، والتي امتزج فيها العرب بغيرهم من سكان البلاد الاصليين .

ومعنى هذا خطير كل الخطورة، فهؤلاء السكان كانوا يتكلمون لغات مختلفة جدا .. وكان الفرس يتكلمون لغتهم الفهلوية، وكانت للشام لغات سامية وكذلك في العراق وفي الجزيرة وكان المصريون يتكلمون لغتهم القبطية . وكانت لغة الثقافة والسياسة هي اللغة الفارسية، ولغة الثقافة والسياسة في شمال افريقية وفي اسبانيا كانت هي اللغة اللاتينية .

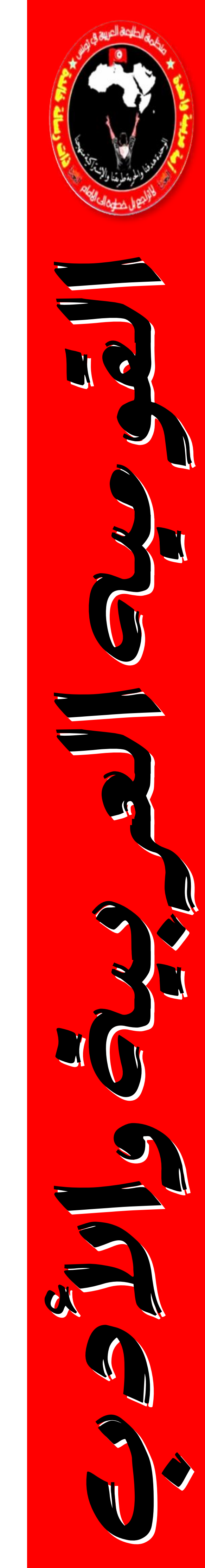
وننظر في اواخر القرن الثاني، فاذا كل هذه اللغات قد تركت اماكنها من السنة الناس وعقولهم وقلوبهم لهذه اللغة العربية .. فالفرس يتكلمون اللغة العربية ويكتبونها ويزاحمون العرب انفسهم فيزحمونهم اذا الفرس هم الذين يضعون كتب أصول النحو العربي، واذا هم يعنون بجمع اللغة العربية وتدوينها . يشاركون العرب في هذا كله ويغلبونهم عليه احيانا . واللغات السامية التي كان الناس يتكلمونها في سوريا ويتكلمونها في الجزيرة ويتكلمونها في العراق، عادت كلها الى الاديرة، وأصبح الناس يتكلمون اللغة العربية، واللغة العربية بطبيعتها اصبحت لغة السياسة ما دام الحكام عربا، ولكن اللغة السياسية هذه التي يتكلمها الناس لم تلبث ان اصبحت لغة الثقافة والعلم ايضا ...

واذن هناك قومية عربية جديدة انشأها الاسلام، لم تكن تأتلف من عنصر عربي خالص وأنما كانت تأتلف من جميع هذه العناصر التي رأيتموها، من العناصر التي كانت تسكن كل هذه البلاد . فأنشأ الاسلام اذن امة جديدة وجعل هذه الامة عربية : عربية اللغة وعربية التفكير والشعور .. عربية الحضارة وعربية العلم والثقافة والادب .

ومن غريب الظواهر الادبية التي تلاحظونها في حياة هذه القومية الجديدة التي انشأها الاسلام ـ والتي الغى فيها الفروق بين الاجناس، والغى فيها أن يكون لعربي على اعجمي فضل الا بالتقوى . من اغرب الظواهر التي ترونها، ان الشعراء الذين استأثروا بالشعر وامتازوا فيه، وأصبحوا هم السنة الامة العربية بمعناها الجديد، لم يكن منهم شاعر عربي خالص .. كان بعضهم فارسيا وبعضهم نبطيا وبعضهم يونانيا .. لم يكن منهم شاعر عربي خالص وانما كانوا جميعا من هذه الامم التي استعربت وأعربت عن شعورها القديم وعن عقولها القديمة وعن وجدانها القديم في الشعر العربي والعقل العربي والوجدان العربي .

وكانت اللغة اليونانية قد سادت في الشرق الذي نسميه الان بالشرق العربي وبنوع خاص في مصر والشام والجزيرة، ولكنها لم تستطع ان تمحو هذه اللغات الوطنية، فظل المصريون يتكلمون لغتهم القبطية وظل اهل الشام يتكلمون لغتهم السامية والارامية وظل اهل الجزيرة والعراق كذلك، وكانت اللغة اللاتينية سائدة في شمال افريقية وفي اسبانيا، ولكنها لم تستطع ان تقهر لغة البربر في شمال افريقية، ولا ان تقهر الاسبانيين على ان يتركوا لغتهم الوطنية الاولى . ولكن اللغة العربية جاءت فقهرت اليونانية وقهرت معها اللغات الوطنية ايضا وقهرت اللاتينية في المغرب وقهرت معها اللغات الوطنية ايضا وقهرت اللغة الفارسية اربعة قرون تقريبا .

كل هذا ان دل على شيء فانما يدلكم على قوة اللغة العربية وقوة الطبيعة العربية، وقوة هذا الدين الذي كان هو العامل او المؤثر الاول في انتشار العرب خارج جزيرتهم، ثم في تكوين هذه الامة العربية الجديدة ... ومن المحقق أن البلاد التي يتألف منها العالم العربي الحديث لا يمكن ان تكون مؤلفة من عناصر عربية خالصة الى عدنان وقحطان، وانما هي عربية بلغتها، عربية بشعورها وعقلها ووجدانها، وعربية بدينها سواء اكان هذا الدين اسلاما ام كان نصرانيا .. هي عربية بهذا كله .. آثرت العروبة على غيرها وأصبحت



امة عربية جديدة كونها الاسلام وكونها دون اكراه او ارغام او عنف ، فتكونت بهذه الوسيلة وبهذا اليسر .. واخص مزايا هذه القومية العربية أنها حرة متسامحة ، وانها مفتوحة الابواب لا مغلقتها وانها متعاونة مع الذين يحبون ان يتعاونوا معها ، فهي قبلت الثقافات الاجنبية في عصورها الاسلامية الاولى .. قبلت ثقافة الهند والفرس واليونان، وقبلت كثيرا جدا من الثقافات السامية القديمة ، ومن ثقافة المصريين القدماء ... قبلت هذا كله واساغته وجعلته عربيا، ثم لم تكتف بهذا ولم تستأثر به من دون الانسانية المتحضرة ولكنها جعلت تنشر ما تستطيع ان تنشره من هذا كله في الشرق والغرب جميعا فأثرت بثقافاتها العربية الجديدة في الشرق وفي الهند وفي بلاد الصين ، واثرت بثقافاتها العربية الجديدة في اوروبا وفي الغرب .. وفي اوروبا لم تؤثر بعلمها وفلسفتها فحسب ، ولكنها أثرت بعلمها وشعورها ، وأثرت بشعورها ايضا ، وهي التي علمت الشعراء الفرنسيين في القرون الوسطى ان يقولوا ذلك الشعر الذي كانوا ينتقلون به بين المدن في فرنسا .

هذه ايها السادة هي القومية العربية كونها او حاول تكوينها الشعر اول الامر ثم كونها القرآن آخر الامر ، ثم جعلت تفرض نفسها في غير عنف ولا اكراه على العالم القديم حتى احتلت مكانة الامبراطورية الرومانية واحتلت مكانة الدولة الفارسية وهي الان بعد أن عدت عليها الخطوب وبعد ان الحفت عليها الكوارث ، وبعد ان ألح عليها الترك بنوع خاص في عصور مختلفة من حياتهم ، وبعد ان اضطرت الى الخمول والى الضعف ، ظلت على الرغم من هذا كله محتفظة بقوميتها ، محتفظة بلغتها وعقليتها وشعورها وكل ما يميزها .. ظلت محتفظة بهذا كله . وقد عرضت لها الخطوب المختلفة ، فانقسمت واستقل بعضها عن بعض ونشأ فيها دول ، برغم هذا ظلت واحدة .. واحدة في الشعور وواحدة في التفكير وواحدة في الآلام وواحدة في الامال .

وصدقوني ايها السادة - ولا تظنوا اني اريد ان اغركم عن انفسكم ، ان كانت الامة العربية قد اخذت الان تنهض واخذت تعرف نفسها ، واخذت تعرف حقوقها وتعرف واجباتها فالفضل في هذا كله انما يرجع الى الادب والى الادب وحده .

ما الذي انشأ النهضة الحديثة في هذه البلاد العربية ؟ هو انها التقت بالغرب ، وعرفت حياة غريبة لم تكن تعرفها. كان الترك العثمانيون قد قطعوا كل صلة بينها وبين العالم الخارجي فلم تكن تعرف الغرب ولا تكاد تسمع به وكاد الغرب هو نفسه ان ينساها . اضطرت بمقتضى الحوادث التي حدثت في اواخر القرن الثامن عشر وفي القرن التاسع عشر الى ان تعرف اوروبا ، فرات الوانا من الحياة جديدة وارادت ان تعرف من هذه الحياة شيئا ، فجعلت تتعلم اللغات الاوروبية واذا هي تعرف المطبعة ، ولم تكد تعرف المطبعة حتى ذكرت ان لها كتبا قديمة مكدسة في المساجد وفي الكنائس والاديرة واذا هي تأخذ في نشر هذه الكتب وكان احياء الادب العربي القديم بفضل المطبعة كان الاتصال بالحياة الغربية الحديثة .. ضمن هذين التيارين نشأت ثقافة جديدة في هذه البلاد العربية .. من الذي انشأها ؟ هؤلاء الافراد الذين تعلموا والذين كانوا يقرأون الكتب القديمة وينشرونها ويتعلمون اللغات الحديثة ويترجمون منها والذين كانوا يذيعون العلم والآدب في بلادهم وفي البلاد المجاورة ومن هؤلاء القوم ومن هؤلاء الناس ؟ انهم هم طليعة الادباء المعاصرين

وثقوا ايها السادة ان هذه النهضة ما كانت لتنهض وما كانت لتؤتي ثمرتها وما كانت لتنشأ عنها هذه الدول الجديدة وهذه الحياة العربية الجديدة ، لولا المثقفون والادباء سواء منهم الشعراء والناثرون .. لولا هؤلاء ، ما نهضت البلاد العربية .

والاغرب من هذا ، ان كل الاحداث الكبار التي نشأت عن هذه النهضة وما حدث في البلاد العربية على اختلافها من هذه الاحداث التي هزتها ومن هذه الثورة العرابية في مصر والثورة التي نحن فيها الان في مصر والثورة على الفرنسيين في الشام وفي الجزائر وعلى الانجليز في العراق ..

الشيء الذي استطيع ان اؤكده لحضراتكم وانا مطمئن الى اني لا اتجاوز الحق هو أن كل هذه الاحداث انما انشأتها الثقافة وانشأها الادب ، والمؤسسون الحقيقيون لكل هذه الثورات انما هم الادباء والشعراء ولا شيء غير هؤلاء .

الادباء ايها السادة هم الذين احسوا آلام الشعوب وهم الذين صوروا هذه الآلام وهم الذين اشعروا الشعوب بحقوقها وعلموها واجباتها ورسموا لها طريقها الى مثلها العليا وهم الذين سبقوا الى آمال هذه الشعوب فصوروها وزينونها وحببوها الى الشعوب . والذين قاموا بالتنفيذ ، وقاموا بالحركات الثورية العملية ليسوا - في حقيقة الامر - الا تلاميذ هؤلاء المثقفين وهؤلاء الادباء .

وقد تقولون انـي لم احدثكم الى الان عن الادب والقومية العربية ، وان كنت انا اعتقد اني لم احدثكم الا في هذا الموضوع فكل ما قلته لكم منذ أن بدأت الحديث على طوله الى الان ، ينتهي الى شيء واحد وهو أن القومية العربية مدينة بوجودها وقوتها ونموها للادب العربي وان القومية العربية الحديثة مدينة بنهضتها وقوتها وبهذه الامال العراض التي تطمح اليها للادب العربي الحديث . ومعنى هذا ان الادب يجب ان يكون وفيا لنفسه يؤدي واجبه في العصر الحديث كما اداه في العصور المختلفة لان طبيعة الحياة هي القوة والذكاء وليست هي الجمود والاستقرار ، فاذا كان الادب قد ادى واجباته الى الان ، فينبغي ان يؤدي هذه الواجبات في تقوية القومية العربية وتكوين هذه الوحدة العربية التي ورثها العرب عن اسلافهم وعن آبائهم الاول .. تكوين هذه الوحدة التي اضاعتها الاحداث والخطوب ..

ويجب ان تعود ويجب ان تتم ويجب ان تقوى ويجب ان تكون الامة العربية واحدة بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة ،وان يكون العرب كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا وان لا يذهب العرب هذه المذاهب المتفرقة : قوم يخلصون للفكرة العربية ، وآخرون يخلصون ببعض قلوبهم ولا يخلصون بها كلها .. كل هذا يجب ان يزول والوحدة العربية يجب ان تتحقق ، وليس الى تحقيقها الصحيح من سبيل ألا ان ينهض بها الادباء ، هم بناة القومية العربية وهم الحفظة عليها وعلى نموها وقوتها ، وهم الذين اخذوا يكونون هذه الوحدة وعليهم ان لا يريحوا ولا يستريحوا حتى يتم تكوين هذه الوحدة وحتى تمضي الامة العربية في طريقها الى الحياة الراقية المجيدة السعيدة كما ينبغي لها ان تحيا وكما ينبغي لها ان تعيش في هذه الايام التي يملأها القلق ويملأها الاضطراب

ايها السادة لا تنتظروا مني ان اتحدث أليكم بالتفصيل عما فعل الشعر في هذا العصر او ذاك او عما فعل النثر في هذا العصر او ذاك فلسنا هنا في جامعة ولست القي عليكم درسا في الادب او درسا فيما شئتم من الموضوعات وانما اريد ان يكون هذا الاجتماع او هذا المؤتمر الذي اشرف بالحديث اليه الان والذي اتيح له ان يجتمع في مدينة القاهرة ، اريد ان يكون مؤتمرا ينصرف ويتفرغ اعضاؤه وقد استشعرت قلوبهم هذه القوة التي ليس منها بد وهي التي تأتي من علمهم بأنهم هم الذين عليهم قبل كل شيء بناء الحياة العربية الجديدة ، فان نهضوا بها فذاك وان لم ينهضوا بها كما ينبغي فعليهم وعليهم وحدهم تبعة هذا التقصير..

**طه حسين**





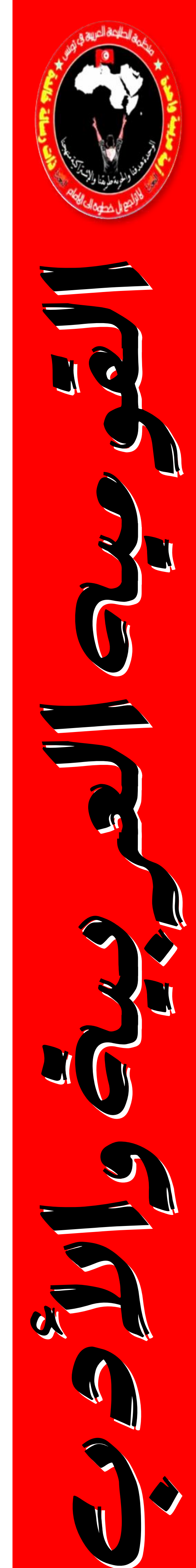


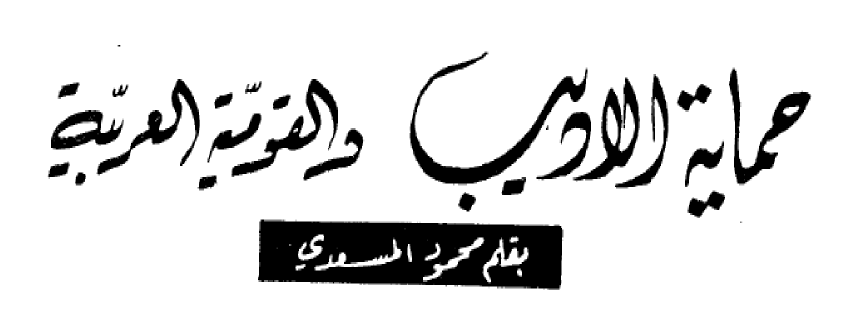






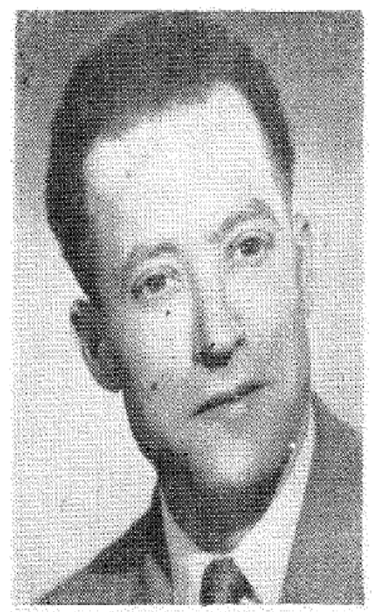




# حماية الادب والقومية العربية

بقلم محمود المسعدي



١ ـ اننا بعبارة « الادب والقومية العربية » قد وضعنا مفهوما بازاء آخر ، ولئن كان الاول عندنا جميعا لا يحتاج الى تحديد ولا تحقيق لانه قائم بأنفسنا في وضع الادراك الخالص البين ، فان مفهوم « القومية العربية » يبدو انه ليس عندنا في تلك المنزلة من الوضوح . ولست اعرف تفكيرا يطمح ان يكون قيما او نظرا يرجى ان يكون صالحا الا ان يكون قائما على التحديد المدقق المضبوط لمفاهيم ما يتناول من الامور . لذلك وجب قبل معالجة موضوع حماية الادب في صلته بالقومية العربية ان نتفق ولو بالوضع على حقيقة هذه القومية . وقد سمعنا هنا من طالبوا بتحديد مفهومها، وسمعنا في ذلك فعلا اقوالا اختلفت وتعددت حتى كأنها الحيرة والاضطراب . ولكنني لا ارى في ذلك لا حيرة ولا اضطرابا ولا اخشاهما علينا منه . فاذا اختلف في الناس تحديد حقيقة ما فثق بأن ذلك لانها ليست من البسائط، وانها متعددة النواحي ، فكل ينظر اليها من ناحية ويتحدث عما يرى . وجلي ان القومية العربية ليست من المفاهيم البسيطة وأن مقوماتها عديدة وعناصرها المكونة مختلفة متنوعة .

ا ـ فهناك مجموعة أولى من تلك العناصر قد حللها الدكتور طه حسين وغيره من الزملاء قبلي احسن تحليل . منها وحدة اللغة التي هي العربية ، ووحدة الادب الذي هو عربي ووحدة الثقافة والحضارة اللتين هما عربيتان اسلاميتان على وجه العموم وان تأثرتا بثقافات وحضارات غير عربية ولا اسلامية وأخذتا منها ، وشملتا في القديم وفي الحديث مشاركة أناس ليسوا من العرب جنسا وليسوا من المسلمين دينا واستفادت منهم . هذا هو القسم الكبير الاول من العناصر القومية العربية ومقوماتها التكوينية . وهي جميعا كما ترون عناصر معنوية من ناحية وتاريخية ووراثية ، تنبع من الماضي وتتصل بالحاضر من ناحية ثانية ، وعلى هذا صح قول الوفد السوداني الكريم ان القومية العربية « رابطة معنوية بين جماعة من البشر يلتفون حول التراث الذي حملته اللغة العربية » .

ب ـ لكن الى جانب هذا القسم الاول من العناصر الموروثة القارة والمتجددة الحية في آن واحد ، يدخل في مفهوم القومية العربية عناصر اخرى هي الصق بالزمان والمكان ، واشد ملابسة للظروف وتقلبات الاحوال . ليست من جنس القيم المعنوية التي هي نتاج تجارب الامة على وجه الدهر بل هي في جنس الماديات التي تتولد من صميم الواقع المتطور المتحول المتغير من عصر الى عصر وقطر الى قطر . اعني بذلك المصالح الاقتصادية والسياسية والمقتضيات الاجتماعية ما يكون لدولة دولة وشعب شعب من الدول والشعوب العربية بحسب مواقعها الجغرافية ومعطيات اقتصادها ومجتمعاتها وظروفها السياسية الخاصة . وليس من شك في ان المصالح والمقتضيات من هذا النوع تتحد بقدر ما تريده «طبائع الاشياء » حسب عبارة ابن خلدون وتختلف بقدر ما يريده اختلافها . فلا ريب أن الانسان لا يستطيع دائما ان يتصرف فيها تصرفه المطلق ولا ان يسيطر عليها ويسخرها كما يشاء لاهداف قوميته التي يرتضيها الا أن يتعمد الخروج عن الواقعية الفعالة الى مزالق الاوهام ومغالطات العاطفية والخيال .

ج ـ على ان القومة العربية لا تقوم ولا يمكن أن تقوم على ذلك العنصر الثقافي الحضاري الاول وعلى هذا العنصر الثاني من الاتحاد المقدر في المصالح المادية فقط ، بل هي تقتضي في كونها عنصرا ثالثا آخر يتآلف مع الاثنين الاولين ويرتكز عليهما ، ولكنه غيرهما . ولا يستقيم كيان القومية العربية بدونه وهو هذا العنصر النفساني البحت الذي يتلخص في الارادة المشتركة للوجود الجماعي . فقد يكون اتحاد في اللغة ويكون اتحاد او نسب قريب في الادب والثقافة ، كما بين الشعوب الانجلوسكسونية ، وتكون مصالح اقتصادية وسياسية مشتركة كما بين كثير من امم العالم دون أن ينتج عن ذلك « قومية » واحدة بعينها، واخص خصائص قوميتنا العربية التي غالبت الدهور هي انها لم




تزل تتجدد فيها هذه الارادة المشتركة لوجود اجتماعي متحد او مؤتلف قد يشمل في بعض الاحيان جميع نواحي الكيان الموحد من ثقافية واجتماعية وسياسية ، وقد لا يشمل الا بعض تلك النواحي في احيان اخرى ، وعلى اختلاف المحتوى فان القومية تبقى ما بقيت الارادةالمشتركة طاقة حياة وغريزة وجود مركوزة في صميم القوم تضم الفرد الى الفرد والجماعة الى الجماعة ، وقد تظهر هذه الارادة بمظهر غريزة الدفاع عن الكيان وطاقة الكفاح الحيوي في اوقات الخطر ، وتتجمع قواها اذ ذاك كلها في الناحية المهددة منها ، سواء اكانت لغة او دينا او مصلحة اقتصادية او استقلالا سياسيا ، كما كان ذلك منها عندما نهضت للشعوبية فكانت دفاعا عن جنس العرب ودرءا لثلبه وانتقاصه ، او عندما حاربت بيزنطة في عهد بني حمدان والمتنبي او جابهت جيوش النصارى في عهد الحروب الصليبية فكانت دفاعا عن الاسلام وعن حوزة الاسلام، ولعلها لم تظهر في اي عصر مضى بمظهرها الكامل مثلما ظهرت في العصر الحديث تجاه الموجة الاستعمارية التي طغت على عموم بلدان العالم العربي والاسلامي ، فكانت القومية العربية دفاعا عن الاسلام واحياء له على يد محمد عبده وامثاله من المصلحين الدينيين ، وكانت ثقافة دينية على يد علماء الشرق الحديث وادبائه الذين عملوا منذ قرن ونصف قرن على بعث الادب والتفكير العربي وتجديدهما والنهوض بهما الى هذه النهضة الحديثة المباركة التي لا نزال نحياها ، وكانت سياسة اقتصادية تحريرية في مختلف الحركات الوطنية التي كافحت الاستعمار حتى حررت الاوطان العربية الواحد بعد الاخر ، ولا نزال نشاهد آخر معركة لها في كفاح الشعب الجزائري الباسل المجيد .

٢ ـ واذ وضعنا بهذا ، مفهوما للقومية العربية بمختلف عناصرها ومقوماتها ومظاهرها ، فقد اصبح غير عسير علينا ان نجعل بازائه مفهوم الادب والاديب ، وان نحدد بالضبط العلاقة بين مقتضيات حماية الاديب ومقتضيات القومية العربية .

أ ـ واعتقد أن اول ما ينبغي ان يحتمي به ادبنا وادباؤنا هو الوقوع في احد خطأين يجر احدهما الاخر : خطأ سوء الفهم لحقيقتهم وحقيقة وظيفتهم وخطأ سوء الفهم لحقيقة القومية العربية وما تقوم عليه من عناصر . ومن صالح القومية العربية نفسها أن تحمي الادب والادباء ، وان تصون نفسها ايضا من الوقوع في هذين الخطأين ، فان صح ان القومية العربية تراث ثقافي واتجاه عقلي مشترك ومصالح مادية قد تتفق وقد تختلف ، وارادة مشتركة لكيان جماعي متحد او مؤتلف ، فان من وظيفة الادب والاديب ان يساهما فيها في الميادين التي هي من جنسهما . فليس الاديب صاحب اقتصاد حتى يسأل على التوحيد او التعاون الاقتصادي او الدعوة اليهما وهو لا يدري كيف يمكنان وهل يمكنان . وليس هو من حيث هو اديب مضطلعا بمسؤولية الحكم السياسي او الدعاية السياسية حتى يسأل بتحليل الاوضاع السياسية لمختلف البلدان العربية ووضع الخطط لتنسيق سياساتها او النفخ في ابواق الدعاية لها . ليس الاديب بشيء من هذا وان كان لا يخلو من واجبات قومية سياسية واقتصادية بصفته مواطنا عربيا ، اما من حيث هو اديب فانما هو كائن خلاق بفنه وفكره . ولو حملناه على غير ذلك عسفا لمسخناه مسخا .

ب ـ فاذا كان الاديب هو هذا فان أوجب ما تجب حمايته له هي « حريته » لانها شرط قدرته وخلقه ولانه لا يستطيع بدونها ان يخدم العنصر الثقافي من القومية العربية الذي هو مهيأ الى المشاركة فيه بالطبع ، وقد تتفجر قريحته تفجرا تلقائيا بالقصيدة القومية الحماسية او بالمسرحية او القصة الممجدة للقومية ولعظماء القومية . ولكنه قد تنصب قريحته على غير ذلك ويكون منصرفا بالطبع عن الناحية السياسية او الدعائية من القومية العربية دون ان يكون خائنا لهذه القومية او متنكرا لها او مظهرا لها عقوقا . ويكفيه شرفا في هذه الحال وخدمة لقوميته ان يكون الاديب الذي يجدد في سلم القيم الفنية او وجهة النظر الى المشاكل الوجودية فيجدد لي بذلك تعلقي بثقافتي العربية واعتزازي الانساني بالانتساب الى القومية القائمة عليها . ولو هو انصرف بي في ادبه عن كل ما يتصل بالقومية العربية من مشاكل فانه يكفيه شرفا وخدمة ان يغذي فكري ويزيد نظرتي للوجود وللحياة خصبا ووضوحا ويقوي في الذاتية وشخصيتي الانسانية فيعزز امتيازي وامتياز قومي بخصائصنا الفذة التي تحتم احترامنا كمجموعة انسانية وتفرض وجودنا على التاريخ فرضا .

ج ـ وحرية الاديب هذه التي تجب حمايتها كأقدس ما يحمى من القيم البشرية لا تحتمل اي حصر ولا تحديد لانها في جوهرها مطلقة او لا تكون ، فانه لا يكفي ان نعتق الاديب من رق المسؤوليات السياسية او الدعاية لاوضاع اقتصادية او اجتماعية او سياسية معينة لنضمن له حريته كاملة ، بل يجب ان يكون اطلاقنا له في ميدانه الخاص به ـ ميدان الادب والفكر ـ اطلاقا كاملا لا قيد فيه ولا تضييق . فلا نحاول حصره في « ايديولوجية » معينة فنحمله على الماركسية مثلا او على ما يقابلها من مذاهب فكرية غربية او شرقية . ولا نرى ربط شعوره بقومية معينة قد تفيض عنها نفسه الكبيرة ، ولا حبسه في ثقافة دون غيرها . وبعبارة اشمل لنتجنب توجيهه نحو نوع من الفن او ضرب من التفكير دون الانواع والضروب الاخرى . فان اخطر ما يجب ان نخشاه هو ان يصير مجتمعنا العربي خاضعا لهذا النظام الذي لا ينجو فيه من التوجيه والتسيير والمراقبة نشاط سياسي ولا ادب ولا علم ولا فن ، هذا النظام الذي يأبى على الفكر والادب ان ينتهيا في طلبهما للحقيقة وجوسهما عليها الى نتائج قد لا تلائم اهدافه واغراضه ويراها خطرا عليه فيزجر عليهما زجرا ، الا وهو نظام « التسخير الكلي ـ ان صح هذا



التعبير ـ الذي اطلقت عليه اللغات الاجنبية لفـــــظ « توتاليتارسم ـ Totalitarisme » ، ذاك ما يجب ان نصون انفسنا عنه حتى لا يصبح مجتمعنا اشبهشيءبالمصنع الذي يخرج النسخ المتعددة من المصنوع الواحد على مثال واحد ووتيرة واحدة . ان الانسان جوهر فرد . ذلك ما ينبغي له ان يكون وذلك هو سر شرفه الاسنى فيالوجود. بل انه لمن الحق المبين ان الانسان ما اشتدت فرديةجوهره الا اشتد اتصاله بانسانيته ووفاؤه لرسالته في الكون .على أن الاديب قد يجد اكتمال انسانيته في الاتجاه بفرديته الى التعمق في الذات والتيه في ابعادها فيبدو لنا منقطعا الى « الفن للفن » او الى « الحياة في الابراج العاجية » كما يقال ، ولكنه لا يزال مع ذلك ومن خلال فنه يجتذبنا الى انسانيته الكاملة ويرفعنا افرادا واقواما الى منازل الشرف والسمو . وقد يجد اكتمال انسانيته في الاتجاه بفرديته الى التوسيع من نطاقها بالملابسة للكثرة والاتحاد الوجودي بالملايين . فاذا هو يشرف بنا من هذه الطريق الاخرى على نوع من الكيان الانساني لا يقل جلاله ولا تقل عظمته عن ذلك النوع الاول .

د ـ ذاك اهم ما ينبغـــي ان نحميـــه من حقـــوق الاديب وان نجعل له من حرمة ، ويبقى بعد هذا بعض وجوه الحماية والرعاية مما لا يثير مشاكل في المبدا سأكتفــي بذكرها ذكرا موجزا .

من ذلك ان الاديب العربي لا يزال كمنتج وكمالك لمـــا ينتج غير متمتع بحماية القانون لملكيته الادبية . ان معظـم دول العالم المتحضر لها قوانينها الداخلية والتزاماتها الدولية في هذا الصدر . ومن العار ان يبقى شرقنا خاليا من مثل هذه القوانين والالتزامات وأن يستمر الناهبون والسارقون والمستغلون على السطو على انتاج الادباء دون ان يزجرهـم عن ذلك قانون ما بعقاب ما . ومن المضحكات المرة ان لا يكون في يد الاديب سلاح يدافع به عن نفسه فيهذاالميدان الا قلمه الضعيف يخط به في اول صحيفة من كتابه هذه العبارة الجوفاء « جميع الحقوق محفوظة للمؤلف » وقـد يليق بمؤتمرنا هذا ان يتخذ توصية خاصة في هذا الغرض يتجه بها الى جميع الدول العربية مطالبا لها بسن قوانيـن تحمي حق الملكية الادبية على غرار ما هو موجود فيالقوانين الداخلية للامم الاخرى وفي المعاهدات الدولية الرابـــطة بينها .

ومن رعاية الادب والادباء ان يجدوا من قبل الحكومات والمؤسسات العلمية ما هم في حاجة اليه وما هم حقيقون به من مساعدة مادية مالية وغير مالية . ولست أعني بذلك ان الاديب يجب ان يوضع بموضع المستجدي او المتصدق عليه فان كرامته تربأ به ويجب أن تربأ بالحكومـــــات والمؤسسات عن ذلك ، وانما اعني هذه الاشكال المختلفة من المساعدة التي تيسر على الاديب وترفه حياته الماديـــة والمعنوية بتوفير وسائل التفرغ للعمل الادبي وتشجيـــع النشر بما يضمن للاديب التخلص من استغلال دور النشر التجارية لجهوده وانتاجه دون كبير مقابل وتسهيل الاتصال على الادباء بالحركات الادبية والفكرية في العالم وارسالهـم على غير نفقتهم الى الخارج للمؤتمرات وغير المؤتمـــرات وباحداث الجوائز الادبية المختلفة خاصة للاخذ بيد الادباء الناشئين الى غير ذلك من وسائل الاعانة والرعاية .ولنعتبر انه اذا بقي الاديب في حياته المادية منكبا على الارضليرتزق ويعيش فانه كثيرا ما ينكب معه ادبه فيلتصق بالحضيض . وكأي من اديب قضى عليه واجب الارتزاق بأدبه ان يتنازل الى درجة الادب الصحفي والى مضيق المقالة او الاقصوصة المعجلة الصنع وهو قادر على احسن من ذلك بدرجات .

٣ ـ هـــذه هـي الخواطـر الفطيرة التي عنت لفكري عندما سئلت التحدث اليكم في هذا الموضوع . وقد قدمتها اليكم على علاتها ومع اني ـ كما قلت اول كلامي ـ غير راضٍ عنها كل الرضا فاني ارجو ان اكون بما الحجت في بسطه من قضية حرية الاديب قد ساهمت في شرف اظهار هذا المؤتمر في مظهر مؤتمر رجال ادب صحيحوفكر حق وثقافة مفتحة وفن قيم حتى يبدو لجميع الملاحظيـن من الاعداء والاصدقاء ان قوميتنا العربية التي حاولنا بيان علاقتها بأدبنا تأبى التعسف والاكراه وانها بالعكـس فـي اهدافها تطلع جماعي الى حال انسانية افضل وأسمى وقيم حضرية أثبت وأعلى وفي جوهرها اوساع مترامية مــن الحرية والخلق والانشاء .

**محمود السعدي**







## النثر والقومية العربية

# وثبة التحرر في أدبنا الحديث

**بقلم محمود تيمور**



نحن المخضرمين الذين عشنا في جيلين ، سابق ولاحق، لا يفوتنا ان فكرة القومية العربية ، وهي دعوة الساعة، كان لها بالامس صوت جهير .

بيد أن هذه القومية العربية لم تكن لها دلالة مختمرة في اذهان الكتاب ، ولم تكن مستبينة المعالم فيما تجري به الاقلام .

كنا مضطربين في امرها اشد الاضطراب ، مختلفين فيها كل اختلاف ، يتعصب لها منا فريق ، ويثور عليها فريق آخرون ، وكان المتعصبون له والثائرون عليها سواء في التطرف او في الشطط والاعتساف ، وفقا لمقتضيات وملابسات حاقت بالامة العربية في تلك الايام .

المتعصبون للقومية العربية كانوا يتمثلونها لياذاً بالماضي، واعتزازا بالسلف ، فهم ينشدون للكتاب ان يرجعوا الى العصور الاولى ، ويؤثرون للادباء أن يحيوا في أجواء العهود الخوالي ويأبون على المفكرين ان يسلس قيادهم لاتجاهات حديثة أسفرت عنها الحضارة العصرية في ميدانها الثقافي.

والثائرون على القومية العربية كانوا يشنونها حملة على كل قديم في التفكير والتعبير ، ويعتدونها عقبة في طريق التطور والتقدم ، ولم يسلم من حملتهم تراث العروبة في فنون ادبها وفي الوان ثقافتها بل في كثير من دعواتها الروحية الموصولة بالعقيدة والدين .

وتنابز الفريقان بالالقاب ، فريق المحافظين ، وفريق المجددين ، لكل منهما زاوية ينظر اليها ولا يعدوها ، ولكل منهما وجهة هو موليها ، فان قلنا انهما كانا كلاهما على خطأ فلسنا على خطأ ، وان قلنا انهما كانا كلاهما على صواب فلسنا نجانب الصواب .

اولئك المحافظون آمنوا بالقومية العربية ، فأقاموا من انفسهم سدنة لها ، متعلقين بأستارها يتمثل ايمانهم في الاستمساك بالتراث العربي القديم ، وفي الاستحياء لاساليبه ومناهج أدبه ، وتأنس نفوسهم باحلام ماضية ، وبما يزدان به من مفاخر وامجاد . وعذرهم في ذلك ان المجتمع العربي كانت تغزوه قوى أجنبية في شتى مناحي حياته ، ومن ورائها مظاهر حضارة عصرية ولوامع فكر جديد . فأشفق المحافظون على الامة العربية أن يطوح بها التيار الجارف ، حتى لا تتماسك ولا يبقى لها من كيان ، ولم يستطيعوا الا ان يهربوا من واقعهم الذي يحاصرهم من كل صوب ، هذا الواقع الملتبس الذي يباعد بينهم وبين عروبة يعتزون بها اكبر اعتزاز .

وهؤلاء المجددون ارادوا للامم العربية حياة غير حياتها المتخلفة ، فانبعثوا يمزقون عنها الفاف ماضيها الذي هو اشبه بأحلام النيام ، ويحطمون ما يغل عقولها من قيود مانعة من التحرر والانطلاق ، ويفتحون العيون على النور الجديد في آفاق الفكر والمعرفة .

ومن ثم نشأت الدعوات الادبية في كل امة عربية الى ابراز الشخصية ، وتنوير الوعي ، وتجديد الروح . ولم يكن للمجددين بد من اصطناع خطة الهدم ، لكي يقوم على الانقاض بناء مكين.

لبثت القومية العربية على هذا النحو ، بين اشياع المحافظة واشياع التجديد مثار تردد ونزاع ،بلمدار تشكك وارتياب، وفي ادب الجيل الماضي تعبير صادق عن هذا التردد والنزاع او التشكك والارتياب ، سواء في ذلك الكتاب المحافظون والكتاب المجددون .

ولعل هذه المرحلة كانت مرحلة طبيعية من مراحل النهوض القومي ، وطورا لا غناء عنه من أطوار تبلور الفكر العربي . فقد جاهد المحافظون في سبيل احياء العروبة وتزكيته واقرار الايمان به في النفوس ، وعمل المجددون على انضاج الوعي العربي وتبصيره والنفوذ به الى فهم موقفه من الحياة التي يحياها ، ومن المجتمع الانساني الذي يعيش فيه .

وفي يومنا الحاضر اتيح للقومية العربية ان تستقبل طورا حاسما من اطوار حياتها ، وتجد لها صيغة جديدة لا مجال فيها لتعصب فريق وثورة فريق آخرين .

لم تعد القومية العربية حلم نائم على رمال الصحراء ، ولا اهتزازا لبكاء الدمن والاطلال ، ولا عويلا على مجد كان في غابر الزمان .

القومية العربية اليوم يقظة لعمل ، وسعي الى هدف ، وهي تفاؤل بغد ، وايمان بمستقبل وانبعاث الى امام ، وهي نزعة موحدة الى الحرية والعزة وتقويم الشخصية في هذا المعترك العالمي الذي يحف بنا من كل جانب .

ولعل ادق تعريف لهذه القومية في مضمونها الاصيل انها ــ كما قال استاذ الجيل« احمد لطفي السيد » ــ




« رابطة بين امم اتسعت بينها دائرة المشابهات ، وضاقت دائرة الفروق » .

فهذه الرابطة تجمعنا اليوم حول دعوة فكرية عميقة ، وخطوة تحريرية واسعة ، وكفاح انساني صميم .

نريد اليوم ان يكون لنا فكر نابع من عقولنا ومن وجداننا، وان تكون لنا بصيرة خاصة بالحياة من حولنا ، فنتحرر في التفكير والتعبير ، ولا يكون علينا من سلطان في التأثر والتأثير ، نؤمن بأنفسنا ، فنفيض عليها عزما وقوة ،ونمارس استجابتنا الواعية لكل ما في الافاق من هواء ونور .

حسبنا من فكرة القومية العربية انها حرب على الضعف والاستكانة ،حرب على التشكيك في الشخصية الجديرة بالاستقلال والتوثب ، وانها ثورة على العبودية والتطامن لسلطان الاجنبي ، ثورة على الوقوف في هذاالمعترك العالمي موقف التضاؤل والتخاذل ، وانها رمز في المجتمع العربي للالم الباعث على اليقظة والامل الدافع الى الكفاح .

لئن كان لكل عصر نبوته المقدسة ، ان القومية العربية لهي نبوة هذا العصر في مجتمعنا العربي ، ورسالة هذه النبوة هي تجميع القوة ،وتكتيل الجبهة ، والانطلاق بالطاقة البشرية في كيان المجتمعالعربي نحو كسب الحياة .

وان كتاب العرب في اعناقهم امانة ، هي ان يكونوا حواريين لتلك النبوة الصادقة ، يزكونها بأقلامهم ، وينفخون فيها من إرواحهم ، ويعملون على ان تكتمل لها اسباب النماء والازدهـــار .

يشهد التاريخ بان التطورات الكبيرة في الحياة الادبيـــة رهينة بالتطورات السياسية البعيدة المدى ، فالادب يؤثر في هذه التطورات ويتأثر بها في آن واحد والمجتمع العربي تحت راية القومية العربية يستشرف لبعثسياسييستكمل به حرياته ومشخصاته ، فلا معدى للادب عن ان يستجيب لهذا البعث كل استجابة ، وان يواكبه فيما يهدف اليه من اغراض جسام .

تلك هي الاقلام تصابحنا وتماسينا بانتاج ادبي ترتسم فيه وثبة التحرر ، فقد امسكت هذه الاقلام عن التعلـــق بأذيال الموضوعات التجريدية ، والوجدانيات الحالمة ،واقبلت على تصوير الروح الجديدة التي تتمثل فيها اليقظة والعمل والكفاح . وانما انصرف حملة الاقلام الى هذا الجد فـــي التصوير الواقعي لانهم وجدوا انفسهم امام واقع اجتماعي قوي يرج النفوس ويملأ الاذهان ، لا كما كان اسلافهـــم بالامس يعيشون في واقع هزيل لا يحدوهم الى التعبير والتصوير .

ومهما يكن من جدال النقاد في ان يكون الادب هادفا او غير هادف ، ملتزما او غير ملتزم ، مجندا او غير مجند ،فما احسب الكاتب العربي في هذه الفترة من زمنه يستطيع ان يغفل الاحداث التي تتخذ لها اليوم شعار القومية العربية ، فان هذه الاحداث تهز كيان كل عربي ، وتتغلغل في صميم كل بيئة عربية ، وان الكاتب ليستهين بأمانة القلم في يده اذا هو لم يتسمع لمختلف الهتافات والمناجيات التي تضطرم في ذلك المجتمع العربي ، واذا هو لم يلتقطها ولم يبث فيها من ذوب نفسه ومن فيض روحه ما يجعلها مداداً للفكر الجديد ، وكيف يكون الكاتب مخلصا في استيحاء الحياة من حوله ان صمت اذنه دون انبعاث قومي في مجتمع كبير يعيش بين ظهرانيه .

ما اهون ان يكون الاديب معدودا من اهل عصره ، بتاريخ ميلاده ، لا بما يحمل ادبه من معالم تضعه حيث وضعته الايام من احداث وطنه في ذلك التاريخ .

لسنا نبغي ان يفرض الكاتب على نفسه شيئا ، ولسنا نعني ان يتخذ الكاتب من قلمه يوما يعلو به صوت مسوق اليه ، محمول عليه . فذلك هو التكلف الذي لا جدوى فيه، وذلك هو الافتعال الذي نأباه . وانما الذي نبغيه ان يرهف الكاتب حسه ، ويفسح من نفسه مجالا تتجاوب فيهاصداء الحركة القومية ، فانه خليق ان ينتفض ويستشعر ، وان يتوافر له الانفعال القوي فلا تلبث نفثات فكره وروحه ان تذكي الجمرات التي تومض تحت الرماد .

ربما آثر الاديب الا يربط بين فنه وبين تيارات تتناوح من حوله اذ يؤمن بأن العمل الادبي اذا ارتبط بهذه التيارات نقص حظه من الفن ، وقصر عمره في حساب الزمن ، وفاته الخلود الذي يتاح للاعمال الفنية الخالصة غير المقترنـــة بملابسات عابرة في حياة الامم وكفاح الشعوب .

ولكن الحق ان الاديب اذا عمق حسه ، وصدقاستلهامه، وآمن بما يجري به قلمه لم يستعص عليه ان يكون فنـــه قويا خالدا او ان تناول احداث العصور ، وعبر عن ملابسات الجيل ، وانصاع للتيارات العارمة التي تمر بالمجتمع .

ومن الحق ايضا ان المجد العربي اذا عقد بناصيـــة الاديب الخالص في فنه للحياة الانسانية المجردة فانه يعقد كذلـك بناصية اديب يجند ادبه لهدف قومي ، ليكسبه به جهارة وقوة وحيوية ، فقد لمع في الاداب العامة ، ادب الكفـــاح الشعبي ، وبقي على الزمن بما فيه من روائع وعيون ، وكتب الخلود لاصحابه بين الادباء ، كما كتب الخلود لهم بين قادة النهضات .

واني لاذكر هنا اديباً عاش في عصر الثورة العرابية ، وجند ادبه في معسكر الوطنية المصرية لذلك العصر ، هو السيد عبد الله نديم ، فقد اجاد قلمه لونا من ادب الكفاح ادى مهمته في حينه احسن اداء ، ولربما عز علينا انتتلمس فيما انتهى الينا من آثار « النديم » في ادبه الكفاحي مـا يصعد به الى قمة الفن ، ولكنه استحق التمجيد والخلود.

واذا طاب لنا ان نهتف بحرية الاديب العربي فيما يجري به قلمه ، وفيما تضطرم به نفسه وان ننشد له طلاقة الطائر في الافق ، فعلينا ان نهتف كذلك بالرسالة الانسانية الملقاة على عاتق الاديب الحر ، رسالة الاحساس بالحياة التي يحياها ، والتعمق فيها ، وتزكية ما يلتمع في مجتمعه من مثل رفيعة تدعو الى حرية وحق وخير وسلام ، والقوميـــة العربية التي تعمر جوانح المجتمع العربي اليوم ليست الا مثلا انسانيا رفيعا ، فهي موجة من موجات التقدم البشري، تدعو الىالايمانبالنفس والىحريةالعملللخير والحقوالسلام.

**محمود تيمور**

# القومية العربية بين الواقع والحلم

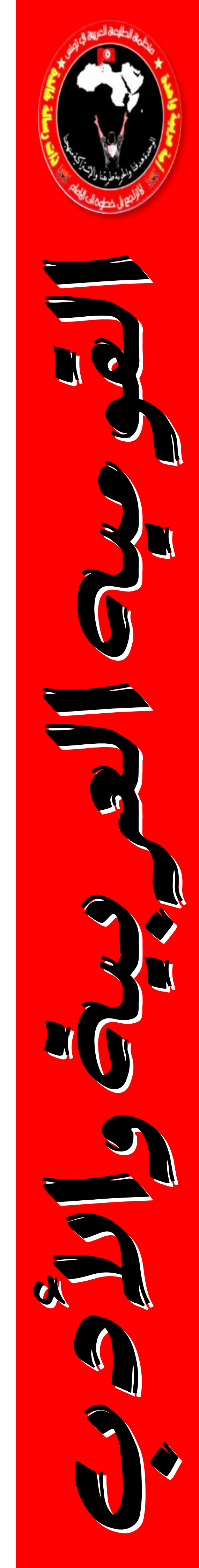


نجيب محفوظ

القومية العربيةُ حلم كل عربى أمين ، أمَّا واقع العرب فهو ما ترى وما تسمع مما لا حاجة بى إلى عرضه . وللقومية العربية أعداء فى الخارج لايمكن الاستهانة بقوتهم ، كما أن لها معارضين داخل كل بلد عربى لأسباب شتى ، وفضلاً عن هذا وذاك فهى تحتاج إلى خطوات تمهيدية حتى يصلب عودها وتنضج فكرتها وتستقر فى القلوب والإرادات .

من سوء الحظ أن العرب تصرفوا فى ظروف تاريخية خطيرة بوحى من الحلم كأنه واقع ، متجاهلين الواقع الحقيقى ، فباءوا فى كل مرة بخسران عظيم . فعلوا ذلك عام ١٩٤٨ عندما قرروا خوض الحرب دفاعاً عن فلسطين ، معتمدين على وَهْمِ وحدتهم ، متجاهلين أنهم فى واقعهم بلدان متفرقة خاضعة لأكثر من استعمار غربى ، ولو وقفوا عند حدود واقعهم لكان الفلسطينيون جميعاً اليوم فى فلسطين تحت أى صيغة يتم الاتفاق عليها بينهم وبين اليهود ، ودولة الانتداب ، وهيئة الأمم ، وحتى لو كان قُضِىَ عليهم بظلم قليل أو كثير فالظلم لايدوم ، وحسبك أن تذكر ما يجرى اليوم فى جنوب إفريقيا ، ولكن التعامل مع الحلم ضيع فلسطين ، وشرَّدَ الفلسطينيين ، وأنزل الهزيمة بالدول العربية مجتمعة .

وفعلوا ذلك تحت مظلة زعامة عبدالناصر ، فارتفع صوت الوحدة ، حتى خال الأعداء أنها قريبة حقًّا ، وغطى على أصوات كثيرة كانت



تغمغم هنا وهناك ، مكرسة التفرقة ، بل مضمرة العداء ، وجاءت النتيجة مفجعة مخزية يوم ٥ يونيو الأسود .

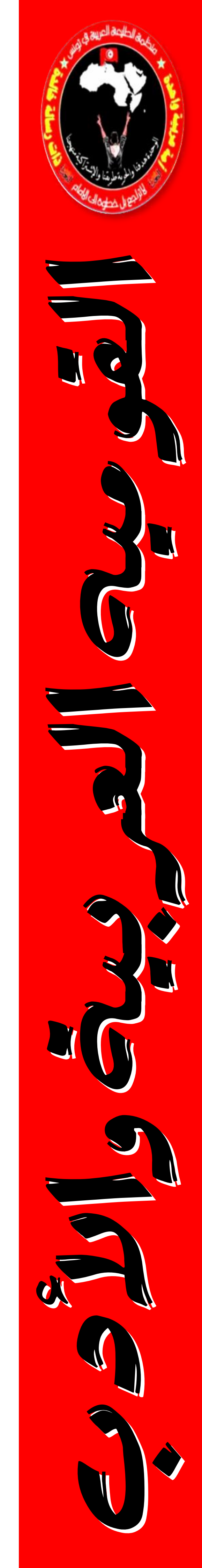
خير ما يقال للعرب فى حاضرهم المحزن ما نادَى به الشيخ النبيل سقراط : «اعرف نفسك» . وخير ما يُذَكَّرُون به قول القدير المتعال : ﴿إنَّ الله لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حتى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ﴾ ، وليذكروا بعد ذلك وقبل ذلك أن وحدتهم هى الحُلم المنشود لا الواقع القائم ، وأن دورهم اليوم أن يحققوا السلام على أساس الواقع ، وأن يبحثوا عمّا لا يختلفون فيه ليعملوا فيه بهدوء وإخلاص ومثابرة ، ولن يتهيأ ذلك مثلما يتهيأ فى مجالى الثقافة والتكامل الاقتصادى ، وليتركوا الباقى للزمن ، وهو طبيب حكيم فى جبر الكسور وتضميد الجراح واسترداد الحقوق الضائعة .

(١٩٨٦/١/٩)

## نحو وحدة عربية جديدة

[redacted]

تاريخنا الطويل يشهد بأن موقعنا المتوسط بين جناحى العالم العربى جعلنا الملتقى والمنطلق لتياراته المتضاربة ، كما فرض علينا دورًا نؤديه لضم الجناحين ، أو مدِّهما بالقوة التى تمكنهما من التحليق ، أو فى الأقل دَفْعِ الأذى عنهما ، وكأنما ندفعه عن أنفسنا . وإنْ أردت شواهد على ذلك فارجع إلى العهد الفاطمى ، أو عهد صلاح الدين ، أومحمد على ، أو جمال عبد الناصر . بل ارجع إذا شئت إلى العصر الفرعونى نفسه .



من أجل ذلك حق لنا أن نقول عن دورنا العربى : إنه قَدَرُنَا الذى لا فكاكَ منه . ولكن الزمن تغير ، فما كان صالحًا للأمس لم يعد صالحًا لليوم . اليوم تقوم على ساحة العالم دول عملاقة تغطى استراتيجيتها خطوط الطول والعرض ، وتتدفق مسئولياتها ومصالحها بغير حدود . وتهيأ المسرح لرواية جديدة ، وبالتالى يجب أن تتغير الأدوار ، وأن تتساءل الأمم الصغيرة عمَّا بقى لها فى العالم الجديد من دور يناسب حجمها ويليق بمجدها معًا .

ولأن هذا السؤال لم يستوعبه محمد على ولا جمال عبد الناصر فقد انتهى كل منهما بنكسة أَوْدَتْ به وأوشكت أن تودى بوطنه . فهيهات أن نلقى اليوم ما يليق بنا فى مجالات الزعامة أو القوة أو السياسة ، ولكنَّ أمامنا مجالاً آخر فى الحضارة بما تحوى من تراث ومعاصرة ، وهو القيمة الحقيقية التى تعتز الإنسانية بإبداعها فوق الأرض . وفى هذا المجال تُقاس الهمم لا بالحجم ولا بالكثافة ولا بالقوة ، ولكن بالقيمة والفائدة وحُسْن الأَثَر .

إن دورنا الحقيقى أن نتعلم ونتثقف ونبدع ، وأن نعطى العالم مثلما نأخذ منه . وحَذارِ أن تظن أننى أدعو إلى الانعزال عن الأمم العربية ، ولكننى أدعو إلى وحدة تنهض أساساً على التكامل الاقتصادى والثقافى والعلمى ، بعيدًا عن التحدى والاستفزاز وتبديد المال فيما لايفيد . فلنعرف دورنا ، ولنتهيأ لإتقانه ، ولنتخلَّ عن أحلام مَضَى عهدها وانقضى ، ولنؤمن بكل قوة بأن دورنا الجديد أعظم من سابقه وأبقى .

(١٦ / ١ / ١٩٨٦)

